الوطنية في الفكر الإسلامي

محمد الياس بهٹي*

الحافظ عبد الرحيم**

Abstract

The main theme of my article is to describe the concept of patriotism(الوطنية) in the light of Quran and Sunnah. Patriotism is the expression of nation-ness that can emerge in various contexts, mostly imperial ones. Nation-ness is a narrative quality of identification connected to the use of the homeland. Patriotism, devotion to one's own country and concern for its defence. Frequently compared or contrasted with nationalism. The Holy Prophet of Islam, Muhammad, has mandated that 'Love of your country (patriotism) is a part of your faith'. Islam is a universal religion without territorial bounds and this teaching has profound wisdom and logic. The guidelines for obedience to authority and nation are clearly stated in the Holy Quran and elucidated by the Prophet. Commandments in this regard are very practical and rational and aim to cut at the root of all kinds of rebellion and anarchy. Islamic teachings are inherently universal and their underlying philosophy completely endorses this concept and allows Muslims to lead their lives peacefully.

Keywords: Patriotism, Home land, Patriotism in Quran, Patriotism in Sunnah.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد، تهدف الدراسة في هذا المقال المعجر نظرة الإسلام إلي الوطنية فإنّ كثيرًا من المفاهيم المنتشرة والمشتهرة في المجتمع الإسلامي تحتاج إلى تأصيل وتدقيق، ومعرفة أصلها، والمواضع الصحيحة لاستعمالاتها. ومن هذا المنطلق مددتُ ذراعي لأتناول قلم المعرفة فأسطِّر به ما أُراه واجبًا على أهل العلم والإيمان من بيان مفهوم الوطنية في ضوء الكتاب المبين والسنة النبوية، وإيضاح أصله لأن كثيرا من الناس حتى الخواص يخلطون بين الوطنية والشهوة السياسية التي لا تكون مشروعة إلا إذا كانت الوطنية أساسها، ولكن منفعة الوطن حين يقع النزاع بين الأحزاب تكون اقل ما يفكر فيه، تدفعنا إليه البغضاءثم العناد والانتفاع الأعمي.

---

*باحث الدكتوره،قسم اللغة العربية،جامعة بهاءالدين زكريا ملتان-

**پروفيسر ورئيس،قسم اللغة العربية،جامعة بهاءالدين زكريا ملتان-

الذي يوجه إلى حب الغلب ما لنا من الافكار والمشاعر والقوي، ثم ما لنا من الطمع والمنفعة الشخصية التي هي الشغل الشاغل للإنسان أبدا.ينبغي لكل من يريد أن يشتغل بأعمال وطنية، ولو عن رغبة، أن يفحص عن قلب و يسأل نفسه: أيريد مجد وطنه حقا، أم يريد نجاح فريق معين؟

ووضعتُ هذا البحث لتوضيح الوطنية في الفكر الإسلامي، بعنوان:''**الوطنية في الفكر الإسلامي**''حيث وزعته إلي مقدمة و مباحث عدة و خاتمة علي النحو التالي :مفهوم الوطن، مفهوم **الوطنية**،الوطنية فى الأدب العربى، الوطنية في الفكر الإسلامى-

مفهوم الوطن:

الوطن هذا المكان الذي ارتبط به الإنسان، وسكنه روحاً وجسداً، وهام به حباً وحنيناً، هام بصحرائه الواسعة، وجباله المتنوعة، وأوديته باختلاف أبعادها، كما هام بسمائه وجمالها،وهوائه بنسيمه ورياحه، ورياضه المزهرة، ومراتعه الممرعة، وخيرات مزارعه،كما أحب بحاره بشواطئها الجميلة وسواحلها الساحرة. وارتبط حب الإنسان بهذا الوطن وذلك بشعر الحنين إلى الديار والوطن والأرض الذي يعتبر من أرق ما قاله العرب من الشعر، لأنه يعبر عن أنبل العواطف الإنسانية وأرق المشاعر القلبية، ولأنه عنوان المحبة الصادقة وصدق الوفاء. شعر سداه ولحمته العواطف، ليس للمادة فيه نصيب. لأن فيه حنين الوالدين إلى ابنهم، وحنين الابن إلى والديه وحنين الاخوان والخلطاء والأحباء، حنين الفرع إلى الأصل، والأصل إلى جزئه.

فان حب الوطن فطرية تتساوى فيها المخلوقات كافة فمثلما يحن الإنسان **لوطنه** فان باقى المخلوقات تحن لأماكن إقامتها مهما هاجرت و ابتعدت- وقد استقر حب الوطن فى نفوس **هذه** المخلوقات كافة منذ بدئ الخليقة و بات الدفاع عنه قاموسا للفخر و ميدانا لبذل المهج و مسرحا للفداء و إن عزت الحياة-نستطيع أن نُعَرِّف الوطن في اللغة والعرف بأنه المكان والبلد الذي اتخذه الإنسان مقرًّا للإقامة الدائمة، أو شبه الدائمة باللبث الطويل.. كما جاء في كتب اللغة التالية: فى المحكم المحيط الاعظم الوَطَنُ المَنْزِلُ تُقِيمُ به، والجمعُ: أَوطانٌ. وأَوطانُ الغَنَمِ والبَقَرِ: مَرابِضُها وأَماكِنُها،

قَالَ الأَخطَلُ:

كُرُّوا إلى حَرَّتَيْكُم تَعْمُرُونَهُما كما تَكُرُّ إلى أَوطانِها البَقَرُ[1]

[1] د.إميل بديع يعقوب ،**المعجم المفصل في شواهد العربية**،(بيروت،لبنان:دارالكتب العلمية،الطبعة الأولى١٤١٧هـ – ١٩٩٦م)،٣: ٢٨٩- و الأخطل، غياث بن غوث بن الصلت، **ديوان الأخطل**، تشريح مهدي محمد ناصر الدين، (بيروت،لبنان:دارالكتب العلمية،الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م)،١٧٦

ومواطِنُ مكَّةَ: مَواقِفُها، وهو مِن ذلك. ووَطَنَ بالمكانِ، وأَوْطَنَ: أَقامَ، والأَخيرةُ أَعْلَى. وأَوْطَنه: اتَّخَذَه وَطَناً وواطَنَه على الأَمرِ: أَضْمَرَ فِعْلَه معه، فإنْ أَرادَ مَعْني وافَقَه قَالَ: وأَطَأَه. ووَطَّنَ نَفْسَهَ على الشَّيْءِ، وله، فَتَوطَّتْ: حَمَلَها عليه فتحمَّلتْ، وذَلَّتْ له. وقِيلَ: وَطَّنَ نَفْسَه على الشَّيءِ، كَمَرَّنَها عليه.[2] وفى مختار الصحاح (الْوَطَنُ) مَحَلُّ الْإِنْسَانِ. وَ (أَوْطَانُ) الْغَنَمِ مَرَابِضُهَا. وَ (أَوْطَنَ) الْأَرْضَ وَ (وَطَّنَهَا) وَ (اسْتَوْطَنَهَا) وَ (اتَّطَنَهَا) أَيِ اتَّخَذَهَا وَطَنًا. وَ (تَوْطِينُ) النَّفْسِ عَلَى الشَّيْءِ كَالتَّمْهِيدِ. وَ (الْمَوْطِنُ) الْمَشْهَدُ مِنْ مَشَاهِدِ الْحَرْبِ[3]، قَالَ اللَّهُ – تَعَالَى:''لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ'' [4]

وفى لسان العرب الوطن: المنزل تقيم به، وهو موطن الإنسان ومحله؛ وقد خففه رؤبة في قوله:أوطنت وطنا لم يكن من وطني، قال ابن بري، الذي في شعر رؤبة:

كيما ترى أهل العراق أنني أوطنت أرضا لم تكن من وطني[5]

وقد ذكر في موضعه، والجمع أوطان. وأوطان الغنم والبقر: مرابضها وأماكنها التي تأوي إليها-

ومواطن مكة: موافقها، وهو من ذلك. وطن بالمكان وأوطن أقام؛ الأخيرة أعلى. وأوطنه: اتخذه وطنا. يقال: أوطن فلان أرض كذا وكذا أي اتخذها محلا ومسكنا يقيم فيها. والميطان: الموضع الذي يوطن لترسل منه الخيل في السباق، وهو أول الغاية، والميتاء والميداء آخر الغاية؛ الأصمعي: هو الميدان والميطان، بفتح الميم من الأول وكسرها من الثاني. وروى عمرو عن أبيه قال: المياطين الميادين. يقال: من أين ميطانك أي غايتك. وفي صفته، صلى الله عليه وسلم: كان لا يوطن الأماكن أي لا يتخذ لنفسه مجلسا يعرف به.[6]

الوطن هوالمنزل الذي يقيم فيه الإنسان، ويتخذه محلاً وسكناً له وقد سماه القرآن الكريم الدار والديار في قوله – تعالى:''فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ''[7] وقوله – تعالى:''لا

---

[2] أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت٤٥٨هـ)،**المحكم والمحيط الأعظم**،المحقق،عبد الحميد هنداوي، (بيروت،لبنان: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى،١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م)،٩، حرف الطا،٢٣٩-٢٤٠

[3] الرازي: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي،(ت٦٦٦هـ)،**مختار الصحاح** ،المحقق، يوسف الشيخ محمد،(بيروت،لبنان: المكتبة العصرية،الدار النموذجية،الطبعةالخامسة،١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م)،١: ٤٤١

[4] التوبه:٢٥

[5] روبه بن العجاج التميمي البصري، **مجموع اشعار العرب**، ترتيب وليم بن الورد البروسي،(الكويت: دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع)،١٦٣

[6] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري ،(ت٧١١هـ)،**لسان العرب**،(بيروت،لبنان: الطبعة الثالثة، دار صادر، ١٤١٤هـ)،١٣: ٤٥١

[7] العنكبوت:٣٧

يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ''.[8] وسمَّته السُّنة: الوطن والدار، في حديث: (هي وطني وداري)[9]

وفى القاموس المحيط الوَطَنُ، مُحرَّكةً ويُسَكَّنُ: مَنْزِلُ الإقامَةِ، ومَرْبَطُ البَقَرِ والغَنَمِ: أوطانٌ. وَطَنَ به يَطِنُ وأوْطَنَ: أقامَ.وأوْطَنَهُ وَوَطَّنَهُ واسْتَوْطَنَهُ: اتَّخَذَهُ وَطَناً.[10]

و فى الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية الوطن: هُوَ منزل الْإِقَامَة، والوطن الْأَصْلِيّ مولد الْإِنْسَان أَو الْبَلدة الَّتِي تأهل فِيهَا.ووطن الْإِقَامَة: هُوَ الْبَلدة أَو الْقرْيَة الَّتِي لَيْسَ للْمُسَافِر فِيهَا أهل وَنوى أَن يُقيم فِيهِ خَمْسَة عشر يَوْمًا فَصَاعِدا.ووطن السُّكْنَى: هُوَ الْمَكَان الَّذِي يَنْوِي الْمُسَافِر أَن يُقيم فِيهِ أقل من خَمْسَة عشر يَوْمًا[11]

(منزل الإقامة) من الإنسان ومحله.(و) أيضا: (مربط البقر والغنم) الذي تأوي إليه؛ وهو مجاز؛ (ج أوطان)، قال الأخطل:كما تكز إلى أوطانها البقر (ووطن به يطن) وطنا (وأوطن: أقام) ؛) الأخيرة أعلى. (وأوطنه) إيطانا (ووطنه) توطينا، (واستوطنه) إذا (اتخذه وطنا) ، أي محلا ومسكنا يقيم به؛ ومنه الحديث: (نهى عن نقرة الغراب وأن يوطن الرجل في المكان بالمسجد كما يوطن البعير)[12] ، أي أن يألف مكانا معلوما مخصوصا به يصلي فيه كالبعير لا يأوي من عطن إلا إلى مبرك دمث قد أوطنه واتخذه مناخا؛ وقيل: معناه أن يبرك على ركبتيه قبل يديه إذا أراد السجود مثل بروك البعير.[13]

---

[8] الممتحنة:٨

[9] سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، **سنن أبوداود**،(ت٢٧٥هـ)، راجعة، عبدالحميد محمد محيي الدين،(بيروت، لبنان: الطبعة الاولي١٤١٨-١٩٩٧م، دار ابن حزم)،٣: ١٧٧

[10] مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت٨١٧هـ)، **القاموس المحيط**،(بيروت،لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثامنة ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م)،١: ١٢٣٨

[11] أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي(ت١٠٩٤هـ)،**الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، المحقق، عدنان درويش، محمد المصري،(بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤١٩-١٩٩٨م)،١:٩٤٠

[12] سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني ،**سنن أبوداود**،(ت٢٧٥هـ)،تحقيق شعيب االأرنوط ومحمد كامل، (دمشق، سوريا:دار الرسالة العالمية، طبعة خاصة١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)، باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود،٢: ١٤٧،حديث:٨٦٢

[13] محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ)،**تاج العروس من جواهر القاموس**،(الكويت: دار الهداية، الطبعة الاولي١٤٢٢-٢٠٠١م)،٣٦: ٢٦٢

(اتطن) الْبَلَد اتَّخذهُ وطنا (توطن) مُطَاوِع وَطن يُقَال توطنت نَفسه على الشَّيْء ذلت وتمهدت لَهُ وَالْأَرْض وَبهَا اتخذها وطنا (استوطن) الْبَلَد توطنه-[14]

وفى معجم لغة الفقهاء الوطن: بالتحريك ج أوطان، مكان الاقامة، وهو على أنواع:.وطن أصلي Native country: البلد الذي ولد فيه الانسان، أو البلد الذي يقيم.فيه إقامة دائمة وطن إقامة Fatherland , point of origin: البلد الذي نوى فيه الاقامة مدة لا يصح له فيها قصر الصلاة، من غير أن يقيم إقامة دائمة فيه. وطن سكنى Homeland: البلد الذي يقيم فيه مدة يصح له فيها قصر الصلاة.[15]

وفى الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية الوطن: محل الانسان. وقد خففه رؤبة بقوله:

أوطنت وطنا لم يكن من وطنى لو لم يكن عاملها لم أسكن بها ولم أرجن بها في الرجن وأوطان الغنم: مرابِضها. وأَوْطَنْتُ الأرضَ، ووَطَّنْتُها تَوْطيناً واسْتَوْطَنْتُها، أي اتَّخذتها وَطَناً. وكذلك الاتِّطانُ، وهو افتِعالٌ منه. وتوطين النفس على الشئ، كالتمهيد.[16]

وفى تهذيب اللغة وَطن: قَالَ اللَّيْث: الوَطنُ مَوْطِن الْإِنْسَان ومَحَلُّه قَالَ: وأَوْطانُ الغَنَم مَرابِضُها الَّتِي تأْوِي إِلَيْهَا. وَيُقَال: أَوْطَن فلانٌ أرضَ كَذَا وَكَذَا، أَي اتَّخَذَها مَحَلاًّ ومَسْكناً يُقيم فِيهَا، قَالَ رؤبة:

حَتَّى رأى أهلُ العراقِ أَنَّني أوطنْتُ أَرضًا لم تكن من وَطَني[17]

وأما الوَطَن فكلّ مَكَان قَامَ بِهِ الْإِنْسَان لأمرٍ فهوَ مَوْطن لَهُ، كَقَوْلِك: إِذا أتيتَ فوقفتَ فِي تِلْكَ المواطنِ فادْعُ اللَّهَ لي ولإخواني، وَتقول: واطَّنْتُ فلَانا على هَذَا الْأَمر إِذا جعلْتُما فِي أَنْفُسِكُما أَن تَفْعَلاه، فَإِذا أردتَ معنَى وافَقْتَهُ قلتَ: وأَطَأْته، وَتقول: وَطَّنْتُ نَفسِي على أمرٍ فتوطَّنَتْ، أَي حَمْلتُها فذَلَّتْ، وَقَالَ كُثَيّر:

وقلتُ لَهَا يَا عَزُّ كلُّ مصيبَةٍ ،إِذا وُطِّنتْ يَوْمًا لَهَا النفسُ ذَلّتِ أَبُو نصر عَن الأصمعيّ: هُوَ المِيْدَان والميطان بِفَتْح الْمِيم من الأوَّل وكسرِها من الثَّانِي: وَرَوَى عَمرو عَن أَبِيه أَنه قَالَ: هِيَ المياطِين والميادِين.[18]

---

[14] إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ،حامد عبد القادر ،محمد النجار،**المعجم الوسيط**،مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (القاهره، مصر: مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة١٤٢٥-٢٠٠٤م)،٢: ١٠٤٢

[15] حمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي،**معجم لغة الفقهاء**،(بيروت لبنان، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م)،١: ٥٠٦

[16] أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٣٩٣هـ)،**الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،(بيروت،لبنان: الطبعة الرابعة،دارالعلم للملايين، ١٤٠٧ هـ –١٩٨٧م)،٦: ٢٢١٥

[17] المرجع السابق،٧

وفى جمهرة اللغة والوَطَن: حَيْثُ أوطنتَ من بلد أَو دَار أَو مَكَان يُقَال: أوطنتُ بِالْمَكَانِ ووَطَنْتُ بِهِ، لُغَتَانِ فصيحتان، وَأَنا واطن ومُوطِن، وأفعلتُ مِنْهُمَا أَعلَى وَأَكْثر. والوَطَن والمَوْطِن وَاحِد، وَجمع الموطِن مواطِن، وَجمع الوَطَن أوطان. والمثل السائر: لَوْلَا الوَطَنُ لَخَرِبَ البلدُ السَّوْدُ. والمَوْطِن: مَوضِع الوَطَن.[19]

ويقول الخليل الوَطَنُ: مَوْطِنُ الإنسان ومَحَلُّهُ. وأوطانُ الأغنام: مَرابضُها التي تأوي إليها، ويُقال: أَوْطَنَ فلانٌ أرضَ كذا، أي: اتّخذها مَحَلاً ومَسْكَناً يُقِيمُ بها.[20]

مفهوم الوطنية:

إسم مونث منسوب إلي وطن، منبثقة من الوطن و ممثلية، حب الوطن والإخلاص والتضحية من اجله، الوطنية تعمل ولا تتكلم، لاوطنية : عدم إخلاص للوطن، اشتراكية نازية، مصدر صناعي من وطن: سياسة اجتماعية تقوم علي حماية مصالح اهل البلد الاصليين و تقديمها علي مصالح المهاجرين و خصوصا في الولايات المتحدة الأمريكية-[21] والوطن– كما جاء في القاموس: منزلُ الإقامة ومربطُ البقر والغنم، وجمعه: أوطان، ووطن به يطِن: أقام، وأوطنه ووطَّنه واستوطنه: اتَّخذه وطنًا، هذا في اللغة، وقد وردت كلمةُ (الوطن) في شعر ابن الرُّومي بمعنى المنزل والبيت؛ وذلك في قوله:

ولي وطنٌ آليتُ ألا أبيعَه وأن لا أرى غيري له الدهرَ مالكًا
عهدتُ به شرخَ الشباب و نعمةً كنعمةِ قومٍ أصبحوا في ظلالِكا
فقد ألِفتْه النَّفسُ حتى كأنه لها جسدٌ، لولاه غُودرتُ هالِكا
و حبَّب أوطانَ الرجال إليهمُ مآربُ قضَّاها الشبابُ هنالِكَا
إذا ذكروا أوطانَهم ذكَّرتْهمُ عهودَ الصِّبا فيها فحنُّوا لذلِكَا[22]

---

[18] محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت٣٧٠هـ)، **تهذيب اللغة**، المحقق،محمد عوض، باب الطا و النون، (بيروت، لبنان: الطبعة، الأولى،,دار إحياء التراث العربي،٢٠٠١م)،١٤:٢٢

[19] أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ) **جمهرة اللغة**، المحقق، رمزي منير بعلبكي، باب الطا والواو، (بيروت،لبنان:الطبعة، الأولى،دار العلم للملايين،،١٩٨٧م)،٢: ٩٢٨

[20] أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ)،**كتاب العين**، تحقيق عبدالحميد **الهنداوي**، باب الواو،(بيروت،لبنان: دارالكتب العلمية، الطبعة الأولي،١٤٢٤هـ-٢٠٠٢م)،٤: ٣٨١

[21] الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر،**معجم اللغة العربية المعاصرة**، (قاهره، مصر: عالم الكتب الطبعة الأولي، ط ن، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)،١: ٢٤٦٣

[22] الأستاذ أحمد حسن يسج (شرح) ، **ديوان ابن الرومي**، لي الوطن،(بيروت لبنان: الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)،٣: ١٤

والوطنية في الإستعمال المعاصر فكرةٌ جديدة على قِيَمنا واتجاهاتنا الفكرية التي كانت في أمَّتنا الإسلامية. وهي تقوم على تمجيد النسبةِ إلى وطنٍ من الأوطان، والعمل على الدفاع عنه وحمايتِه ورعايته ورِفعته، وهي فكرة يراد منها أن يلتقي عليها أبناءُ بلد واحد، وقد تسرَّبتْ إلينا من الغرب، وقامت عليها حياتُنا السياسية في عددٍ من بلاد المسلمين-

و المعنى الاصطلاحى للوطنية: تعددت تعريفات الوطنية على النحو التإلى:

أ- تعرف الموسوعة العربية العالمية الوطنية بأنها: تعبير قويم يعنى حب الفرد وإخلاصه لوطنه الذى يشمل الإنتماء إلى الأرض والناس والعادات والتقإلىد، والفخر بالتاريخ والتفائى فى خدمة الوطن-

ب- وعرفها البعض بأنها: تعنى التعبير الصادق عن الإنتماء للوطن بالقول والعمل، والإسهام الفعال فى الدفاع عن الوطن ضد أية تحديات خارجية، والإسهام فى تقعمه ورفعته وإعلاء شأنه بين الأوطان و عليه فإن مقياس الوطنية هو: مقدار الرصيد الوطنى الذى يسجله كل مواطن من أجل الوطن- بمعنى: أن الفرد لا يكتسب الوطنية إلابالعمل لصالح الوطن، والجماعة معًا-

ج- و قيل إنها الصلة أو الرابطة القانونية بين الفرد والدولة التى يقيم فيها بشكل ثبت وتحدد هذا العلاقة عادة حقوق الفرد فى الدولة وواجباته تجاهها-ويلاحظ أن هذا التعريف ركز على الناحية القانونية وأغفل الحديث عن الناحية السياسية - وتعنى: الإنتماء إلى بلد ما و إلى شعب يقطن هذا البلد-

فهذهالتعريفات وإن اختلفت ألفاظها فإنها متحدة المعنى، وتشير إلى : أن الوطنية شعور بالإنتماء بالقول والعمل للجماعة، والوطن، فالوطنى هوالذى يقدم المصالح العامة على مصالح الناس، والانشغال بهمومهم، وحل قضايا هم، والدفاع عنهم ضد أى عدوان خارجى-

الوطنيةُ ليست كلمةً تُكتب، أو شعارًا يُرفع، بل الوطنيةُ إيمانٌ وخُلق وسلوك، الوطنية شعورٌ ليس للتشدقِ، والتباهي، والتهجم على الآخرين، الوطنيةُ ليست نعرة ممجوجة، أو عصبية مرفوضة، أو عنصرية مزعومة، الوطنية أسمى وأعلى، الوطنية إحساسٌ لا يقبلُ المساومة.

الوطنية فى الأدب العربى:

منذ أن عرف الإنسان الوجود عرف الوطن، فأصبح موصولاً به صلة وثيقة وإذا به حين يكبر في أحضان وطنه نراه تتنازعه عاطفة جيّاشة صادقة نحو أرضه التي درج على ظهرها وتنسّم هواءها وطعم غذاءها وشرب ماءها فشبّ عليها ونما من خيرها ونطق بلسانها واحتمى بظلها، وبقدر ما تكون هذه الصلة وثيقة تكون الحقوق متبادلة بين الإنسان ووطنه. فالانسان الذي يسعى الى النهوض بأمته ينسى ذاته لذاتها وتلك

سنّة الرقي. وكما لم تكن المهاد سواسية في الإعطاء لا يكون الناس سواسية في الإيتاء. ولكنهم على كل حال يظلون يكنون حباً لوطنهم-

كلمة وطن هي كلمة بسيطة لا تتعدّى حروفها الثلاثة أحرف، ولكنها في الوقت نفسه تحمل معاني ودلالات كبيرة وعظيمة لا يمكن تصورها؛ فهي كلمة فخر واعتزاز، وهي الهويّة التي يحملها الإنسان أينما كان وفي أي زمان وُجد، فالوطن هو الذي نشأ فيه، وشبَّ على ثراه وترعرع بين جنباته، وأثَّر على سلوكه وطباعه. لا شك في أنّ حب الوطن من الأمور الفطريّة التي جُبل الإنسان عليها، لما له من فضل عليه في تربيته وتنشئته وتغذيته وحمايته، ولما له من آثار في تشكيل شخصيته وطبائعه، وبما أن الوطن هو مهد الإنسان ومسرح نشاطه ومرعى هواه ومأمنه من الفزع، فلا بدَّ من شعور صادق وبحنين جارف نحوه حين يبتعد عنه بسبب ظروفه التي يعيش بها وذلك ردّاً لفضله ومعروفه.

إن علاقة الإنسان بوطنه أشبه بعلاقته بأمه وأسرته حيث الشعور بالأمان والراحة النفسيّة والاطمئنان فمن عقّ وطنه فكأنما عقّ أمه، والإنسان بطبيعته يتأثر بالبيئة التي يعيش فيها، ونشأ على ترابها وعاش من خيراتها، فالواجب عليه أن يعرف ما حقوقه وواجباته اتجاهه من حقوق الإخوة وحقوق الجوار والقرابة وزملاء العمل وغير ذلك من الحقوق، وواجبه بالدفاع عنه من كل عدوّ ومن كل شرّ؛ فحبه يعني الولاء له والإنتماء إليه والحرص على تنمية روح المحبة والمودة بين أبنائه ليكونوا كالجسد الواحد فيه إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، ويكون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبذلك يبقى أبناؤه يتّصفون بالتآلف والتآخي فيما بينهم. فالدين الاسلامي يحثُّنا على حب الوطن والإنتماء إليه والدفاع عنه والمرابطة على ثغوره لتأمين حدوده، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم وطنه أحب ما إليه ودليل ذلك قوله حين خرج من مكة: " ما أطيبك من بلد وأحبُّك إليَّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك"، فالرسول قدوتنا وقد صرّح بحب وطنه فعلينا أن نحذو حذوه ونعمل بعمله، فالإنسان الحرّ يحب وطنه يكون مخلصاً له غيوراً عليه، فهو مصدر عزته وفخره-

فالوطن كالشمس لا يستطيع الإنسان العيش بدونه. فالوطن بكل ما يحويه من معانٍ هو المكان الذي نعيش فيه وننتمي إليه بالقلوب والعقول، فهو كالجسد والروح متصلين مع بعضهما البعض وهو كالماء والهواء سر الحياة؛ وبذلك لا يستطيع العيش دون الوطن الحبيب فمهما ابتعد الإنسان عن وطنه تبقى روحه متعلقة فيه حتى يرجع إليه حيث الأهل والأحباب وكل الذكريات الجميلة. ولقد كانت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يستخلف الإنسان في الأرض ليعمّرها على هدى وبصيرة، وأن يستمتع بخيراته بما فيه من الطيّبات

والزينة، فحب الإنسان له وحرصه على المحافظة عليه واغتنام خيراته وتحقيق العبودية لله إنما هو تحقيق لمعنى الاستخلاف.

إن الاباء، والأبناء، والإخوان، والأزواج، والعشيرة، فهؤلاء هم المواطنون في أي وطن، والوطن فيه الأموال والمساكن، ولقد أفادت كلمة «أَحَبَّ» هذا المعنى ، إذ التعبير بـ «أَحَبَّ» لأنَّ التفضيل في المحبة يقتضي إرضاء الأقوى من المحبوبين، ففي هذا التعبير تحذير من التهاون بواجبات الدين مع الكتابة عن جعل ذلك التهاون مسبباً على تقديم محبة تلك العلائق على محبة الله، ففيه إيقاظ إلى ما يؤول إليه ذلك من مهواة في الدين، وهذا من أبلغ التعبير-[23]

وجاء في الاية كلمة ''وَمَسَاكِنُ''، وهي عادة الأماكن التي يعيش فيها المواطنون في الأوطان، والمنهي عنه أن تكون أحب إلى المسلم من الله ورسوله، وهذا يعني وجود الحب ، والإنتماء إلى الوطن، ولكن الممنوع تقديمه على محبة الله ورسوله' قال تعالى: فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا [24] ولما كانت مفارقة الإنسان لوطنه ومألوفه وأهله وقومه من أشق شيء على النفس لأمور كثيرة معروفة، ومنها انفراده عمَّن يتعزز بهم ويتكثر، وكان من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه. واعتزل إبراهيم قومه ، قال تعالى في حقه:''فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ'' من إسحاق ويعقوب''جَعَلْنَا نَبِيًّا''، فجعل له ولهؤلاء الصالحين المرسلين إلى الناس؛ الذين خصَّهم الله بوحيه، واختارهم لرسالته، واصطفاهم من العالمين- قال تعالى:''وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا-''[25]

إن الاية الكريمة تبين أن حب الوطن في نفس كل إنسان لا تنفك عنه ما دام الإنسان في هذه الحياة ، وبين سبحانه وتعالى في هذه السورةَ ''وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ'' يشق احتماله كقتل الأنفس والخروج من الوطن لعصى الكثير منهم ولم يطع إلا القليل ، فالقران الكريم تحدث عن حب الإنسان لوطنه كمعادل وقرين لحب هذا الإنسان للحياة ؛ ولذلك فالإخراج من الديار معادل ومساوٍ للقتل الذي يخرج الإنسان من عداد الأحياء. قال تعالى:''وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ.... وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ''[26]

---

[23] الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، **تفسيرالتحرير والتنوير**،(الدار التونسية،تونس١٩٨٤م)،١٠: ١٥٣

[24] المريم:٤٩

[25] النساء:٦٦

[26] البقرة:٨٤،٨٥

قال تعالى: ''لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ''[27] ن الله سبحانه وتعالى قرن حب الدين مع حب المواطن لوطنه؛ لذا من حق المواطن العدل والبر الذي هو مأمور به من الله لمن لم يقاتل المسلم في دينه، ولم يخرجه من وطنه، كما أن الجمع بينهما دليل على مكانة كل منهما في الإسلام، وفي النفوس. ويبين لنا القران الكريم أن للأوطان مكانة ، وأن للديار حرمة، وأن الاعتداء على هذه الأوطان بإخراج أهلها منها، أو إذلالهم فيها، يعتبر جريمة،يحتاج إصلاحها إلى إعلان العداوة، والقتال، والنزال-

وعندما أذن الله سبحانه وتعالى للمؤمنين في القتال كان إخراجهم من ديارهم سبباً ؛ علَّل به القران الكريم هذا التطور الجديد المتمثل في الإذن بالقتال، قال تعالى:''أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ''[28] وعندما تطور الحال في الإذن في القتال إلى الأمر به؛ جاء حديث القران الكريم أيضاً، فجعل الإخراج من الديار سبباً لقتال أولئك الذين أخرجوا المسلمين من ديارهم، قال تعالى:''وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَتَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ''[29] وعندما انتقل القران الكريم في تشريعه للجهاد القتالي من «أمر» المؤمنين به، إلى حيث جعله «فريضة مكتوبة» عليهم ، استمر حديثه عن إخراجهم من ديارهم ، كسبب يوجب عليهم، ويفرض عليهم قتال الأعداء، قال تعالى:''فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ''[30]

لقد جعل الإسلام في قرانه الكريم، الموقف من القضية الوطنية معياراً يحدد للمسلمين من تجوز لهم مودته، ومصادقته، والبرّ به، ومن لا يجوز لهم إنزاله منازل الأصدقاء من غير المسلمين ، فنهانا نهياً قاطعاً على أن نصادق أو ننصر أولئك الذين يغدرون بديارنا، أو يخرجون منها أبناءها المسلمين. قال تعالى:''يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ

---

[27] الممتحنة:٨

[28] الحج:٤٠،٣٩

[29] البقرة: ١٩١،١٩٠

[30] البقرة: ٢١٧،٢١٦

الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ''[31] قال تعالى:''إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ''[32]

عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إلى (لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) ، وقال مقاتل: خرج النبي (ص) من الغار ليلاً مهاجراً إلى المدينة في غير طريق مخافة الطلب، فلما رجع إلى الطريق ، وتنزل جبريل؛ قال الله تعالى: أي: إلى مكة ظاهراً عليها وقال سفيان: «فسمعناه من مقاتل منذ سبعين سنة ، عن الضحاك قال: لما خرج النبي (ص) من مكة فبلغ الجُحفة، اشتاق إلى مكة ؛ فأنزل الله عليه:''إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ'' مكة [33] هذه الاية نزلت بالجُحفة لا بمكة ولا بالمدينة ؛ حين اشتاق إلى مولده ، ومولد ابائه.[34] ومعنى الاية العام هو أن الله الذي كلفك بتبليغ شريعة القران الكريم ، والعمل بها ، وكلفك بالدعوة إلى الإسلام، وتحمل المتاعب في سبيله ، وأمرك بأن تخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة ، يعلم مدى حبك لوطنك الأول، وهو يضمن لك إرضاء هذه العاطفة في نفسك، ويضمن إشباع هذه النزعة الثائرة في روحك. ومن الأدلة على قوة الحب للوطن عند رسول الله (ص)، فقد كان الرسول قبل الهجرة يتجه في صلاته نحو الكعبة . وهو في مكة . فلما هاجر أمره الله تعالى بأن يتجه إلى «البيت المقدس» في فلسطين ، وكان ذلك اختباراً من الله تعالى لاتباع الرسول؛ لينظر الطائعين منهم ويعلم العاصين ، وليكشف عن جانب من تطاول السفهاء الضالين على الإسلام ، فأطاع الرسول أمر ربه ، ولكنه كان في نفسه يذكر مكة، ويذكر الكعبة، ويتمنى أن يتجه إليها في صلاته، وكان يقلّب وجهه في السماء، كأنه يدعو ربه ويرجوه أن يحول قبلته كما كانت إلى موطنه الأول «مكة» ، وإلى أول بيت وُضع للناس، وهو الكعبة البيت الحرام، و بعد أن استجاب الله لدعاء حبيبه وصفيه محمد (ص)، فحوله في وجهة الصلاة وقبلتها من بيت المقدس إلى الكعبة، ونزل في ذلك قران.

قال تعالى:''سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا ولاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ

---

[31] الممتحنة:١

[32] القصص:٨٥

[33] ابو عبدالله محمد بن احمد بن ابو بكر القرطبي، (ت٦٧١هـ)،**الجامع الاحكام القرآن تفسير القرطبي**، تحقيق د-عبدالله بن عبد المحسن التركي،(بيروت، لبنان: ،موسسة الرسالة، الطبعة الاولي١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)،١١: ٣٢١

[34] أبو الفداء إسماعيل بن كثير، **تفسير القرآن العظيم،ابن كثير**،(قاهره،مصر:دارالمعرفة،طبعة عام١٣٨٨هـ)،٣: ٣٧٧

الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنْ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ''[35]

وهذه الأيات التي جاءت بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة نزلت .كما يروي بعض الرواة على رسول الله (ص) وهو يصلي صلاة الظهر في أحد المساجد الموجودة على طرف من أطراف المدينة، فتحول النبي (ص) وهو في وسط الصلاة من جهة بيت المقدس إلى جهة الكعبة ، وصلى الركعتين الباقيتين من صلاة الظهر وهو متّجهٌ إلى الكعبة، واقتدى به مَنْ كانوا خلفه، ولذلك صار هذا المسجد معروفاً باسم «المسجد ذي القبلتين» ، وما زالت بقعته موجودة وفوقها مسجد يؤمه الحجاج ليصلوا فيها، ويستحضروا تلك الصورة الرائعة التي كانت تترجم عن مبلغ التوق والحنين في صدر النبي (ص) إلى موطنه الأول.

ومن أوضح بناء وتأسيس الأدلة الشرعية لمفهوم المواطنة هو ما جاء بوضوح في القران والسنة من نسبة الدور والأوطان لأهلها ، قال الأمام الشافعي رحمه الله مناظراً إسحاق بن راهويه: قال تعالى:''لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ''[36]، فنسب الديار إلى مالكها. وقال النبي (ص) يوم فتح مكة: (من أغلق بابه فهو امن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو امن)، فنسب الديار إلى أربابها.''الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ''[37]

قال علامة تونس محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله: أي:''أخرجوا متلبسين بعدم الحق عليهم الموجب إخراجهم ، فإن للمرء حقاً في وطنه ومعاشرة قومه، وهذا الحق ثابت بالفطرة؛ لأن من الفطرة أن الناشأئ في أرض، والمتولد بين قوم هو مساوٍ لجميع أهل ذلك الموطن في حق القرار في وطنهم وبين قومهم بالوجه الذي ثبت لجمهورهم في ذلك المكان من نشأة متقدمة، أو قهر وغلبة لساكنه، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنها لبلادهم، قاتلوا عليها في الجاهلية، وأسلموا عليها في الإسلام-[38] المهاجرون والأنصار جميعهم اشتركوا في نصرة الدين، لكن الله سبحانه فضل المهاجرين، وجعلهم أعلى مرتبة من

---

[35] البقرة: ١٤٢-١٤٤

[36] الحشر:٨

[37] الحج:٤٠

[38] تاج الدين ابو النصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، ت٧٧١ هـ، **طبقات الشافعيةالكبرى**،تحقيق محمود محمد الطناحي و عبدالفتاح محمد الحاد،(مصر: دار احيا الكتب العربية)،١: ٢٣٦

الأنصار؛ لأنه حصل لهم ما لم يحصل للأنصار، وهو التغريب عن الأوطان، قال تعالى:''لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ''[39]

قال ابن تيمية: وذلك لأن المهاجرين جمعوا بين الهجرة والنصرة- [40] تقوى الله كلمة جامعة لكل خير، وحقيقتها تحقيق العبودية لله:َ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ-[41] وحقيقتها أيضاً: عمارة الأرض على الوجه الذي تنتفع به الخلائق؛ كما قال تعالى:''هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا''[42] ومن التقوى: حفظ أرض الوطن ، وصيانته ، وعمارته عمارة صحيحة ، وغرس كل خير فيه، ودرء كل شر عنه، قال محمود شاكر: إياك أن تظن أن تقوى الله هي الصلاة والصيام ونحوهما من العبادات فقط، إن تقوى الله تدخل في كل شيء، فاتق الله في عبادة مولاك لا تفرط فيها، واتق الله في إخوانك-

ومن خلال الأيات الكريمة يتبين أن الإنتماء الوطني مغروس في فطرة الإنسان السوي، وأن الأوطان جعلها الله سبحانه وتعالى من ضرورات الحياة، وأماكن العيش للشعوب التي خلقها ؛ لكي يحقق أفرادها العبودية الشاملة لله عليها، كما أن تحقيق مفهوم المواطنة، بأبعاده القانونية، والمدنية، والسياسية، والإجتماعية، والثقافية، واللغوية، والمادية، والمعنوية، والتطوعية مقصد من مقاصد الشعوب، وقيمة إنسانية تحرص عليها؛ بسبب ما تحتويه من عدالة، ومساواة، وحرص على حقوق الإنسان وكرامته. فالتلاحم بين الشاعر ووطنه وثيق وأواصره وشيجة، وهو يبدو هنا بوضوح شديد، وإن هذا التلاحم يدعو الشاعر إلى أن ينزع الشاعر قلبه ويرميه على بلده، والقلب هو نبض الحياة، فالشاعر لا يبخل به وبحياته في سبيل الوطن، كما وإن هذا الحب المتبادل بين الشاعر ووطنه يدفعه وبلا تردد إلى أن يغرس جلده في أرض الوطن، لكي يكون غرفاً لأبنائه، وقد أفاد الشاعر من معجم القرآن الكريم، حين استخدم لفظة (غرفاً) لأن (الغرفة) تحمل معاني الطمأنينة والسكينة، بدليل قوله تعالى: "في الغرفات آمنون"[43]. ومن رحم المعاناة برز في الشعر الإسلامي شعراء شباب التزموا في قرارة أنفسهم وفي صرير قلمهم مناهضة الحصار الجائر، ورد الظلم المتمثل بالإمبريالية والصهيونية، لأن في محاربة الظلم والظالمين مسعى يرمي إليه كل إنسان يفهم معنى الإنسانية، ألا

---

[39] الحشر:٨

[40] المرجع السابق انظر،٢٣،١٧: ٢٧٤-٢٧٥

[41] الذاريات:٥٦

[42] الهود:٦١

[43] السبأ:٣٧

وهو إسعاد البشرية، إذ "إن أي نشاط إنساني يجب أن يقصد به إسعاد الإنسان.. والأدب كلون من ألوان هذا النشاط يجب أن يلتزم نفس الخطة، وأن يلعب دوره الخطير من أجل إسعاد الفرد والمجموع."[44]

ومن خلال ذلك نلمس لدى الشاعر موقف الرفض الذي يتضح تمام الوضوح وهو رفض كل أشكال العقوبات، والدعوة الصريحة منه إلى منح العراق فرصته في الحياة ليعيش بسلام على أرضه، إذ "إن وجه الرفض هو رمز الحاجة إلى صورة أخرى في الحياة، وعندما لا يبقى شيء للرفض تموت الحرية ويصبح العقل ساكناً، وهناك عالم شاسع من الاختلاف بين الرضا بالواقع مع الشوق إلى تغييره ومجرد انعدام الحركة"[45]

يقول الشاعرخالد ياسين اليساري، في قصيدته (صمت البراكين):

لأنّ صبرك مثل النخل يعرفُهُ ترابُ كلّ جنانِ الأرض مقتحم
لأنك القلقُ المفقودُ مرفأُه لموكبٍ تتخطّى سيره الحِمما
أرسلتَ روحكَ صوبَ اللهِ مشتكياً همّ العراقِ و حزن الأرضِ والحُلُما[46]

يشير الشاعر في هذه الأبيات إلى صبر أبناء العراق على معاناتهم من جراء الحصار الظالم، فشبّه صبر العراق بشجر النخيل الذي لا يغفل عنه تراب كل رياض الأرض، فكذلك صبر العراق أصبح مشهوراً لا يغفل عنه إنسان على وجه الأرض.. فوجه الشبه بين الصبر والنخل، هو كونالنخيل شجراً مباركاً، ومثله صبر العراق وأهله فهو مبارك، فهو يقابل مرتبة الجهاد-

الوطنية في الفكر الإسلامي:

إن الله خلق الخلق، وكرم الإنسان وفضله على من خلق تفضيلا، وحمله الأمانة، وكلفه عمارة الأرض، قال الله تعالى:''هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا''[47]،والمقصود بالاستعمار هنا عمارة الكون وإنمائه واستغلال كنوزه وثرواته، وفق أمر الله ومقاصده .وبهذا نعلم أن تنمية الأوطان والنهوض بها مطلب شرعي فضلا عن كونه مطلبا فطريا، فالخالق سبحانه وتعالى:''جعل لنا الأرض ذلولا، وقال:''فَامْشُوا

---

[44] نجيب الكيلاني، **الإسلامية والمذاهب الأدبية**،(بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعه ١٤٠٥-١٩٨٥م)،٨

[45] إحسان سركيس ، **مدخل إلى الأدب الجاهلي**،(بيروت،لبنان: دارالطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الاولي، ١٩٧٩م)،١١١

[46] سالم محمد ذنون ،**المعاناة والشعر**، قضايا www.odabasham.net

[47] الهود:٦١

فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ''[48] فقد سخرها لنا ويسر لنا إعمارها من جميع النواحي الحسية والمعنوية؛ بالقيام بكل ما فيه صلاح البلاد والعباد.

وحيث إن الإنسان هو مبدأ عملية التنمية ومنتهاها، فقد كان نقطة الارتكاز في عملية إعمار الوطن ونهضته .ومن أجل بناء هذا الإنسان القادر على إعمار الوطن وإنمائه، فإنه يتعين أن نتحرك حول محورين متوازيين: الأول التربية، والثاني التهيئة.إن انسجام الدين والوطنية وامتزاجهما معاً، بحيث تكون الوطنية متشربةً للإسلام، ويكون الوطن داراً له– هو الذي جعل للوطنية هذا المعنى الواسع الذي يتجاوز الحدود الإقليمية والمعنى المحصور في الأرض، ليرقى به من الأرض والموقع الجغرافي، إلى القيمة والمكانة والحُرْمة، ويقرنه بالمبادئ والقيم التي يؤمن بها من يقيم على هذا الوطن، لقد أظهر الرسول– صلى الله عليه وسلم– هذا المعنى في خطابه لمكَّة، وهو مهاجرٌ منها: (ما أطيبك من بلد، وأحبَّك إليَّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنتُ غيرك!!)[49]

إن هذا المعنى يجلي موقف الفطرة في محبته – صلى الله عليه وسلم – لبلده مكة، معللاً هجرته منه رغم تعلّقه به ومحبته له – بإخراج كفار قريش له، ومنعهم إياه من إقامة مبادئ الإسلام فيه. وإذا كان الرسول – صلى الله عليه وسلم – قد ضحى بالبقاء في وطنه في سبيل مبادئه وقيمة التي حال بينه وبينها كفار قريش حينما ساوموه عليها – فإن ذلك كان في حالٍ من التخيير بين المضيِّ في الدعوة إلى الإسلام مع الهجرة عن الوطن، أو التخلِّي عنها مع البقاء في الوطن، وحال من التضادِّ بين إعطاء الأولوية للإسلام، أو التنعم بالسّكنى في الوطن، والعيش بين الأهل والعشيرة؛ لذا قدم الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه – رضي الله عنهم – في حدث الهجرة الدِّين على غيره، وقد أكَّد القرآن الكريم استحقاق الدين هذه الأولوية في قوله – تعالى:''قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ''[50]

ولا يعني بحال أن الإسلام يغير انتماء الناس إلى أرضهم وشعوبهم وقبائلهم؛ فإن هذا أمرٌ ماديٌّ حسيٌّ واقعٌ، لا سبيل إلى تغييره، فالذي يولد في بلد يُنسب إليه، ولا يُنكر عليه محبته له؛ فإن بلالاً – رضي

---

[48] الملك:١٥

[49] أبو عيسى محمد بن عيسى،(ت٢٧٩هـ) ،**الجامع الصحيح الترمذي**، تاليف محمد ناصر الدين الباني،(الرياض: مكتبة المعارف للنشروالتوزيع، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)٣؛ **كتاب المناقب**،باب في فضل مكة،٥٩٠،٥٨٩

[50] التوبة:٢٤

الله عنه– الذي هاجر إلى المدينة مضحِّياً بكل شيء في سبيل عقيدته هو الذي كان يهتف في دار الهجرة بالحنين إلى بلده مكة، في أبيات تمتلئ رقة، وتقطر حلاوة، ينشد– رضي الله عنه– فيقول: هَلْ أَرِدَنْ يوماً مِياهَ مَجَنَّةٍ = وهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شامَةٌ وطَفِيلُ؟! وسمع رسول الله– صلى الله عليه وسلم– وصف مكة من أصيل فجرى دمعه حنيناً إليها، وقال:''يا أصيلُ، دع القلوب تقِرَّ''[51] لقد أقر الإسلام هذا الإنتماء، ولم يرَ حُبَّ الوطن منافياً للإيمان، ولا ملازماً له، فقد دل قوله – تعالى:''وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا''[52] دلت هذه الآية على حب هؤلاء لوطنهم، مع عدم تلبُّسهم للإيمان.[53] كما أن الإسلام لم يجعل الأرض، ولا الدم، ولا اللغة، ولا المصالح الصلة الأولى التي تجمع الناس، ولم يقدمها على صلة العقيدة الصحيحة[54]

فإذا اتَّسقت دوائر الإنتماء في فكر الإنسان، وتكاملت الحياة في ممارستها، ولم تكن متعارضة مع الإنتماء إلى العقيدة فلن يكون هناك تناقض في الفكر، ولن يكون هناك مانع من العمل بكل دوائر الإنتماء الفطري للإنسان؛ إن الأمر في علاقة الإنتماء إلى الإسلام بالإنتماء إلى الوطن ليتعدى حدود نفي التناقض إلى دائرة الامتزاج، والترابط، والاعتراف بما هو فطري؛ فالإسلام دين لا تتأتى إقامته إلا في وطن، ومكان، وجغرافيا، وهذا الواقع، والمكان، والجغرافيا لن يكون دارَ إسلام إلا إذا أصبح الإنتماء إليه بُعداً من أبعاد الإنتماء الإسلامي العام، ومن هنا تأتي ضرورة الوطن لإقامة الدين كما قال– تعالى:''الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ''[55] ويتقرر حق المسلم فطرياً ودينياً في أن يعلن محبته لوطنه، وانتماءه إليه، وتفضيله على غيره في السكنى، والإقامة به، وحب الخير له، ونصرته دون عصبية تقطع آصرة أخوة الدين، أو تَشغَل عن الاهتمام بباقي أجزاء الوطن الإسلامي؛ فوطن المسلم ليس له حدود جغرافية؛ فهو يمتد مع امتداد العقيدة ، وانتشارها في بقاع الأرض؛ إذ لا تعارض بين حب الوطن والإنتماء إلى الأمة الإسلامية، فيُوسع الإنسان أن يحب وطنه، ويحب إخوانه المسلمين في

---

[51] أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني،(ت٨٥٢هـ) ،**الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق شيخ عادل أحمدعبد الوجود والشيخ علي محمد معوض،(بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، الطبعة الاولي،١٤١٥هـ-١٩٩٥م)،١: ٨٤

[52] النساء:٦٦

[53] إسماعيل بن محمد العجلوني،(ت١١٦٢هـ) ، **كشف الخفاء ومزيل الإلباس**،(قاهره، مصر: مكتبه القدسى،طبعة سنة ١٣٥١هـ)،١: ٤١٤

[54] محمد قطب ، **مذاهب فكرية معاصرة**،(قاهره مصر: دار الشروق الطبعة التاسعة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)،٥٨٦

[55] الحج: ٤١

الأقطار الأخرى، فكما أن حب الوطن لا يناقض حب الأسرة؛ بل يكون متمِّماً لها، كذلك حب الوطن لا يناقض حب المسلمين أينما كانوا؛ بل يكون متمماً له أيضا-[56]

إن الإسلام جعل الوطنية حقاً من حقوق الشعوب، والمحافظة عليه حياة لها بين الأمم، فلا معنى لحياة أمة وهي تفقد حق استقلالها في أرضها وبلادها، وتعيش تحت هيمنة عدوِّها وحُكمه؛ فتلك أمَّة مَيْتة وإن كانت في حكم الأحياء، يقول الأستاذ محمد عبده في هذا المعنى: "تلك سُنَّة الله – تعالى – في الأمم التي تجبُن فلا تدفع العادين عليها، وحياة الأمم وموتها في عرف الناس جميعهم معروف؛ فمعنى موت أولئك القوم هو أن العدو نكَّل بهم فأفنى قوَّتهم، وأزال استقلال أمَّتهم حتى صارت لا تُعَد أمة، بأن تَفرَّق شملها، وذهبت جماعتها، فكل ما بقي من أفراده خاضعون للغالبين، ضاعئون فيهم، مدعمون في غمارهم، لا وجود لهم في أنفسهم، وإنما وجودهم تابع لوجود غيرهم، ومعنى حياتهم عودة الاستقلال إليهم. إن الجبن عن مدافعة الأعداء، وتسليمَ الديار بالهزيمة والفرار هو الموت المخفوف بالخزي والعار، وإن الحياة العزيزة الطيبة هي الحياة الملِّية المحفوظة من عدوان المعتدين، والقتال في سبيل الله أعم من القتال لأجل الدين؛ لأنه يشمل أيضاً الدفاع عن الحوزة إذا همَّ الطامع المهاجم باغتصاب بلادنا، والتمتع بخيرات أرضنا، أو أراد العدو الباغي إذلالنا، والعدوان على استقلالنا، ولو لم يكن ذلك لأجل فتنتنا عن ديننا، فالقتال لحماية الحقيقة كالقتال لحماية الحق، كله جهاد في سبيل الله. ولقد اتفق الفقهاء على أن العدو إذا دخل دار الإسلام يكون قتاله فرض عين على كل المسلمين".[57]

دعاء النبي (ص) باللعنة على من أخرجه من أرضه ووطنه: الدعاء باللعنة شديد ؛ لأنه دعاء بالطرد والإبعاد من رحمة الله ، ونبينا (ص) نبي الرحمة ، وقد دعا باللعنة على من أخرجه من أرضه ووطنه ، وهذا دال على مكانة الوطن في نفوس الأنبياء ، فضلاً عن غيرهم من البشر الأسوياء ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن النبي (ص) قال: (اللهمَّ العن شيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، وأمية بن خلف ، كما أخرجونا من أرضنا) و شفقة النبي (ص) من خروجه من أرضه ووطنه: فالنبي (ص) لما أخبر ورقة بن نوفل بشأنه مع الوحي ، قال له ورقة بن نوفل:يا ليتني أكون حياً حين يُخرجك قومك ، فقال رسول الله (ص): (أومخرجيَّ هم؟) ، قال ورقة: نعم-[58]

---

[56] الحقيل سليمان،**الوطنية ومتطلباتها في ضوء تعاليم الإسلام**،(بالرياض:دارالشبل،الطبعة الثانية،١٤١٣هـ.)، ٣١

[57] إمام محمد عبده ،**الأعمال الكاملة**،(بيروت، لبنان: طبعة سنة ١٩٧٢م)،٤: ٦٩٥-٦٩٧

[58] امام ابو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري،**الجامع الصحيح البخاري**، كتاب فضائل المدينة،باب كراهية النبي ان تعري المدينة،ت٢٥٦هـ،(دمشق بيروت: دار ابن كثير، الطبعة الاولي ١٤٢٣هـ--٢٠٠٢م)، حديث:١٨٨٧

قال السهيلي: ففي هذا دليل على حب الوطن ، وشدة مفارقته على النفس وعن عبد الله بن عدي بن الحمراء رضي الله عنه أنه سمع النبي (ص) ، وهو واقف على راحلته ، يقول: «والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت» و شفقة النبي (ص) على الغرباء على أوطانهم: نبينا (ص) كان من أشدِّ الناس تقديراً للضرورات ، والفطر الجبلية الكامنة في نفوس الناس من حبِّ الأوطان ، فقد رحل إليه لطلب العلم مالك بن الحويرث رضي الله عنه ومعه عشرون نفراً ، كلهم شبية متقاربون قال: وقد أقمنا عنده عشرين يوماً ، قال: وكان النبي (ص) رؤوفاً رحيماً ، فلما رانا قد اشتقنا إلى أهلنا قال:''ارجعوا إلى أهليكم فعلِّموهم''[59]

فانظر إلى تقدير النبي (ص) لمشاعر وأحاسيس الشباب من الصحابة لديارهم وأوطانهم، مع أنهم مشغولون بشيء عظيم، ألا وهو تلقي العلم والإيمان من رسول الله (ص)، وانظر إلى عبارة مالك بن الحويرث رضي الله عنه وهو ينقل للأمَّة الإسلامية كلها أحاسيس النبي (ص) حيث قال: فلما رائ شوقنا إلى أهالينا-[60]

عن أبي حميد رضي الله عنه، قال: أقبلنا مع النبي (ص) من غزوة تبوك، حتى إذا أشرفنا على مدينة، قال:(هذه طابة ، وهذا أُحُد جبل يُحبُّنا ونحبه)[61] ويمكن القول: أنه لا مانع أن تكون المحبة من الجبل على حقيقتها ، وضع الحب فيه، وكما وضعت الخشية في الحجارة التي قال الله فيها ''مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ''[62]

وعن عائشة رضي الله عنها قال: لما قدم رسول الله (ص) المدينة، قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى، وكان واديها يجري نجلاً . يعني ماء اجناً . فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم، وصرف الله ذلك عن نبيه، قال: فكان أبو بكر ، وعامر بن فهيرة ، وبلال في بيت واحد ، فأصابتهم الحمَّى، فاستأذنت رسول الله (ص) في عيادتهم ، فأذن، فدخلت إليهم أعودهم ، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب، وبهم مالا يعلمه إلا الله من شدة الوعك قالت: فأخبرت رسول الله (ص) بذلك، فقال: (اللهم حبِّب إلينا المدينة، كما حببت إلينا مكة أو أشدَّ ، وانقل حمَّاها إلى الجُحفة، اللهم بارك لنا في مُدنا وصاعنا) وقد استجاب الله دعاء نبيه (ص)، وعُوفي المسلمون بعدها من هذه الحمَّى، وغدت المدينة موطناً ممتازاً لكل الوافدين،

---

[59] المرجع السابق انظر٥٨، **كتاب الأدب**،باب رحمة الناس والبهائم،حديث:٦٠٠٨

[60] المرجع السابق انظر٥٨، **كتاب الأذان**، باب من قال ليوذن في السفرموذن واحد،حديث:٦٢٨

[61] المرجع السابق انظر٥٨، **كتاب المغازي**، باب احد جبل يحبنا و نحبه،حديث:٤٠٨٣

[62] البقرة:٧٤

والمهاجرين إليها على تنوع بيئاتهم ، ومواطنهم[63] إن الحنين إلى الوطن فطرة بشرية ،يشترك فيها الناس عامة، مؤمنهم وكافرهم، عربهم وعجمهم، أبيضهم وأسودهم. يتمنَّى بلال أن يسعده القدر يوماً بليلة يبيت فيها بهذا الوادي الذي قال عنه القران''بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ''[64] وحوله حشيش الإذخر ، وأن يجود عليه الدهر، فيَرِد مَجَنَّة بمكة، ويظهر له شامة وطفيل ، وهما من جبال مكة. وهنا دعا النبي (ص) ربه: وقال: (اللهم حبِّب إلينا المدينة، كما حبَّبت مكة أو أشدَّ)[65]

والتغريب عن الأوطان جعله الشارع تعزيراً لكبائر الذنوب كالزنى، وهذا وحده كافٍ في الدلالة على قيمة الوطن في الشريعة، وعلى أن التغريب عن الأوطان غاية ما يكون من العذاب النفسي، فقد قضى النبي (ص) في الزاني غير المحصن بجلد مائة وتغريب عام.[66] وقال ابن تيمية: فإن انتقاله عن وطنه مما يُضعف همَّته وبدنه، ويعلم أنه معاقب-[67]

قال الحافظ الذهبي – وهو من العلماء المدقِّقين – مُعَدِّدًا طائفةً من محبوبات رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "وكان يحبُّ عائشةَ، ويحبُّ أَبَاهَا، ويحبُّ أسامةَ، ويحب سبطَيْه، ويحب الحلواء والعسل، ويحب جبل أُحُدٍ، ويحب وطنه". إنه يحب مكةَ، ويكره الخروجَ منها، والرسول – صلى الله عليه وسلم – ما خرج من بلده مكة المكرمة، إلا بعد أن لاقى من المشركين أصنافَ العذاب والأذى، فصَبَر؛ لعله يلقى من قومه رقةً واستجابة، وأقام ورحل، وذهب وعاد، يريد من بلده أن يَحتضن دعوتَه، ولكن يريد الله – لحكمة عظيمة – أن يَخرُج، فما كان منه إلا أنْ خرج استجابةً لأمر الله، فدِينُ الله أغلى وأعلى.

ولكن عندما حانتْ ساعةُ الرَّحيل، فاض القلبُ بكلمات الوداع، وسَكبتِ العينُ دموعَ الحبِّ، وعبَّر اللسانُ عن الحزن. أُخرج من وطنه، أَخرجه قومُه؛ كما قال الله تعالى:''إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا''[68]. وعندما هاجر إلى المدينة، كان يدعو اللهَ أن يرزقه حبَّها، فمكة وطنه، وحبُّها يملك قلبَه، وهواها فطرة فُطر عليها، كما هو

---

[63] المرجع السابق انظر٥٨،**كتاب فضائل مدينة**، باب كراهية النبي أن تعري المدينة،حديث:١٨٨٩

[64] إبراهيم:٣٧

[65] **السيرة النبوية للصَّلابي**،٣٩٨

[66] **المرجع السابق انظر٥٨**، **كتاب الحدود**، باب البكر أن يجلدان أو ينفيان،حديث:٦٨٣١

[67] شيخ الإسلام تقي الدين احمد بن تيمية الحراني، ت٧٢٨هـ، **مجموع الفتاوى**، تخريج:عامر الجزار و أنور الباز الطبعة الثالثة،(مصر:دار الوفا للطباعة والنشر والتوزيع،١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)،١٥: ٣١٣

[68] التوبة: ٤٠

الحال عند الناس؛ لذلك لا يمكن أن يكرهها، وإن أصابه فيها ما أصابه. وما أقساه من خروج وما أشدَّه! لذلك وصف الله الصحابةَ الذين أُخرجوا من ديارهم بالمهاجرين، وجعل هذا الوصفَ مدحًا لهم على مدى الأيام، يُعلي قدرَهم، ويبيِّن فضلَهم؛ قال الله تعالى:''لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ''[69]. ولما كان الخروج من الوطن يبعث على كل هذا الحزن، ويُسبِّب كلَّ هذا الألم، قرن الله – عز وجل– حبَّ الأرض في القرآن الكريم بحبِّ النفس؛ قال – تعالى:''وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ''[70] بل قرنه في موضعٍ آخرَ بالدِّين، والدين أغلى من النفس، ومقدَّمٌ عليها لمن يفقه؛ قال– تعالى: ''لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ''[71] وجعل النفيَ والتغريبَ عن الوطن عقوبةً لمن عصى، وأتى من الفواحش ما يَستحق به أن يُعذَّب ويُغرَّب.

والحبُّ للوطن لا يقتصر على المشاعر والأحاسيس؛ بل يتجلَّى في الأقوال والأفعال، وأجمل ما يتجلى به حبُّ الوطن الدعاء.الدعاءُ تعبيرٌ صادق عن مكنون الفؤاد، ولا يخالطه كذبٌ، أو مبالغة، أو نفاق؛ لأنه علاقة مباشرة مع الله. وقد حكى الله – سبحانه وتعالى – عن نبيِّه إبراهيمَ – عليه الصلاة والسلام – أنه دعا لمكة المكرمة بهذا الدعاء، قال الله – تعالى:''وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ''[72] ودعاء إبراهيمَ – عليه الصلاة والسلام – يُظهِر ما يفيض به قلبُه، مِن حبٍّ لمستقر عبادته، وموطن أهله. ولقد دعا لمكة بالأمن والرِّزق، وهما أهم عوامل البقاء، وإذا فُقِد أحدُهما أو كلاهما فُقِدت مقوماتُ السعادة، فتُهجَر الأوطانُ، وتَعُود الديارُ خاليةً من مظاهر الحياة؛ ولهذا نرى أن الله – سبحانه وتعالى – شدَّد في عقوبة مَن يُفسِد على الديارِ أمنَها؛ بل جعل عقوبتَه أشدَّ عقوبةً على الإطلاق؛ قال – تعالى:''إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ''[73] وقد دعا الإسلامُ إلى فِعل كلِّ ما يُقوِّي الروابطَ والصلات بين أبناء الوطن الواحد، ثم بين أبناء الأُمَّة، ثم بين بني

[69] الحشر:٨

[70] النساء:٦٦

[71] الممتحنة:٨

[72] البقرة:١٢٦

[73] المائدة:٣٣

الإنسان. ومما يتجلى فيه حبُّ الأوطان: صلة الأرحام، فهم عترة الإنسان وخاصَّتُه، وهم قرابته وأنسه، وبهم تطيب الإقامة في الديار؛ لذلك جعل الله صلةَ الأرحام من أعظم القُرُبات، وقطيعتَهم قرينَ الإفساد في الأرض. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: (إن الله خَلَقَ الخلْقَ، حتى إذا فرغ منهم، قامَتِ الرَّحمُ فقالت: هذا مقامُ العائذ من القطيعة، قال: نعم، أما ترضَيْنَ أن أصلَ مَن وصَلَك، وأقطع مَن قطَعَك؟ قالت: بلى، قال: فذاك لكِ)، ثم قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: (اقرؤوا إن شئتم:)،''فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا''[74]

وينتقل الإحسانُ إلى دائرة أخرى من الدوائر التي تحيط بالإنسان، وهي دائرة الجوار، وهل تطيب الإقامةُ في الدار إن عدا عليك فيها جارٌ.لذا جعل الإسلام الإحسانَ إلى الجوار مِن كمال الإيمان، كما جعل الإساءة إلى الجوار من أسباب دخول النار؛ عن أبي هريرةَ: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ).وتتَّسع الدائرة لتشمل الإحسان إلى كل مسلم؛ قال – صلى الله عليه وسلم –: (لا يؤمن أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّه لنفسه). وتتسع الدائرة لتشمل الإحسانَ إلى أهل الأديان الأخرى، وهم شركاؤنا في الوطن، وجاء عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أنه قال: (ألا مَن ظَلَمَ مُعَاهدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ– فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ). ولما هاجر النبي– صلى الله عليه وسلم – إلى المدينة، وبدأ بتأسيس حضارة إسلامية، بدأ بنشر التعليم بين أبناء المدينة المنورة، فجعل فديةَ مَن يعرف القراءةَ مِن أسارى بدرٍ أن يُعلِّم عشرةً مِن أبناء المسلمين. وعن عبَّاد بن كثير الشامي، عن امرأةٍ منهم يقال لها: فسيلة، قالت سمعت أبي يقول: سألت النبي – صلى الله عليه وسلم – فقلت: يا رسول الله، أمِنَ العصبيةِ أن يحب الرجلُ قومَه؟ قال: لا، (ولكن من العصبية أن يُعِينَ الرجلُ قومَه على الظلم)-[75] لا يعني: الانفصال عن جسد الأمة الإسلامية، أو نسيان مبدأ الإنسانية، فلا ننصر مظلومًا، ولا نغيث ملهوفًا، ولا نعين مكروبًا، ما دام أنه ليس في حدود الوطن،أخرج البخاري عن النعمان بن بشير –رضي الله عنه– قال: قال رسول

---

[74] محمد: ٢٢-٢٤

[75] أبو عبدالله محمد بن يزيدبن ماجه القزويني،**سنن ابن ماجه**، باب العصبية، تخريج شعيب الأرنوط،(دمشق سوريا: دارالرسالة العالمية الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)،٥، حديث:٣٩٤٩

الله –صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ المؤمنين في تراحمهم وتوادِّهم وتعاطفهم مثلُ الجسد الواحد؛ إذا اشتكى منه عضوٌ تَداعَى له سائر الجسد بالسهر والحمى)-[76]

خلاصة البحث:

نحن لا نختلف في أن الإنسان يحب وطنه الذي ولد وعاش فيه، كما يحب أهله وقومه وماله فهذه أمور فطرية فطر الله الناس عليها. وإنما القضية التي نحن بصددها هي: مفهوم الوطنية وحب الوطن، فالوطنية ميزان يزن به الناس وعليها يُعقد الولاء والبراء بين الناس، هذه هي المسألة التي ناقشتها في هذه الدراسة، فنحن لا ننكر أن في دلالات نصوص الكتاب والسنة إشارات إلى حب الإنسان لنفسه وماله وقومه ووطنه فهذه أمور فطرية، وكما هو معلوم أن دين الله لا يخالف الفطرة، ولكن إذا كانت هذه الأمور تُقدم على حب الله ورسوله وتُقدم على طاعة الله ورسوله ويُعارض بها الدين ويُعقد الولاء والبراء عليها فهذا الخطر والخطأ-

حيث توصلت من خلال دراستي لهذا المقال بان الوطنية لهانظرة خاصة في الفكر الإسلامي. والإسلام لا ينفي الوطنية، بل وينظر إليها نظرة أهمية بالغةويعتبرها أصلا من اصول المجتمع الإنسانى-

[76] المرجع السابق انظر٥٨، **كتاب الأدب**،باب رحمة الناس والبهائم،حديث: ٦٠١١